HexaTimes
Delaware, United States
HexaJournal
of Arabic Language Sciences
هكسا جورنال
علوم اللغة العربية

فرضية الأحياز بين اللسانيات والنحو العربي القديم

نجوى بن عامر كعاك
جامعة القصيم - السعودية
Nkaak865@gmail.com

الملخص

يبرز هذا المقال جانبا من المراجعات التي قام بها ميلنار Milner من أجل تدعيم سمة العلمية في اللسانيات. وهي مراجعات تهدف بالأساس إلى بناء نحو كلي يستوعب الواقع اللغوي. ويقتضي هذا التوجه، إعادة بنائه رياضيا بما يمكّن من الارتقاء باللسانيات إلى درجة عالية من التجريد، على شاكلة ما قام به شومسكيChomsky في اعتماده المشجرات والتحويلات والمنظومات. ورغم أهمية ما قدمه شومسكي Chomsky في نظريته، والتزامه بالعدة الابستمولوجية بمفهوم ميلنار Milner في معالجة الواقع اللغوي، فقد بدا في نظريته إخلال تمثّل في الاشتغال الآلي للنظرية الموجّه بغايات مرسومة مسبقا، خاصة في اعتماد التحويلات في المنوال الأول له. وكذلك في اعتماده المنقوص على الحدوس اللغوية القديمة من أجل بناء نظرية علمية تجريبية صارمة. وقد سعى ميلنار Milner إلى تدارك النقائص السابقة في دراسة التفاعل بين النظرية والواقع في كتابه مقدمة إلى علم اللغة الذي اتخذناه محورا لهذا المقال. وقد اخترنا منه مفهوم الحيزdomaine لتقديم جانب من تصوره العلمي الذي تجاوزناه إلى كشف الحدوس العربية القديمة المتعلقة بهذا المفهوم. هذه الحدوس أهملها ميلنارMilner ومن سبقه رغم إدراكه لقيمتها في بناء تصور نظري علمي دقيق.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات - الحيّز- النحو - الحدّ- الإعراب

The hypothesis of domain between linguistics and ancient Arabic grammar

Abstract

This article highlights some of the revisions that Milner undertook to reinforce the scientific aspect of linguistics. These are mainly aimed at building a way to understand the language reality. This approach requires a mathematical rebuilt linguistics of this reality to elevate linguistics to a high degree of abstraction as Chomsky did in adopting trees, transformations and systems.Despite the importance of what Chomsky presented in his theory and his commitment to the epistemological toolkit- in Milnar's sense in addressing linguistic reality, this theory seems to be flawed by the automatic functioning of the theory which is predetermined by pre-set goals, especially in the adoption of transfers in the first model, and also, in his reliance ou old linguistic intuitions to build a rigorous experimental scientific theory. Milner sought to remedy previous shortcoming in the studies about the interaction between theory and reality, in his book introduction to linguistics sciences which is the focus of this article. We chose the concept of range (sphere) to present one side of this scientific conception and went beyond it to investigate (reveral) the old arabe intuitions related to it and that Milner (and his prodecessions) reglected despite his awareness of the value of this intuitions in the construction of a precise theoretical and scientific conception

Key word : domain – linguistics – grammar -

مقدّمـــــــــة:

يندرج هذا المقال[1] ضمن القضايا المؤسسة للسانيات كما وضعها ميلنار Milner في كتابه مقدّمة لعلم اللغة[2]، إذ أنّه قسّم الحديث عن هذه القضايا إلى ثلاثة أقسام، اهتم بدءا بما يخص المنهج (طرح فيه مسألة المنهج الملائم لعلم اللغة، وابستومولوجيا العدة). وتناول في القسم الثاني ما يخص النظريّة اللغويّة (عرض لأقسامها ثم علاقتها الإعرابية بفرضيّة المواقع والنظريّة المعجميّة) وخصص القسم الثالث لما يهمّ الموضوع اللغوي.[3]

ومن قضايا الموضوع كما حدّدها ميلنار في كتابه ما يتعلّق بخصائص الجملة.. فهو يرى أنّها مقولة إعرابيّة كبرى، ليس لها مواقع. وهي لا تدخل في موقع بنية أكبر منها. وليس لها - هندسيّا - وجود داخل هذه البنية، باعتبار أنّ الموقع يستلزم وجود بنيتين:

- بنية صغرى متضمنَّة.

- بنية كبرى متضمّن فيها.

وإنّما تدرج في نظر ميلنار Milner ضمن البنى الكبرى، فلا تكون بذلك إلّا حيزا. فالعلاقة بين مفاهيم الجملة phrase والموضع position والحيّز domaine تبدو وطيدة، باعتبارهما مخصّصين لها، موضّحين لحدودها.

وقد أكّد ميلنار Milner أنّ هذه الفرضيات التي تؤسس لعلم اللسانيات ذات جذور قديمة جدا[4]، تعود إلى الأنحاء الفرنسية والانكليزية. وقد عاب على مدرسة كامبريدج[5] إهمالها لهذا الإرث المهمّ، وهو ما يجب تداركه في نظره وما دعا إليه ،لكنه لم ينتبه إلى ما في النحو العربي القديم من حدوس[6] كفيلة، إن تم الكشف عنها، بملء هذا الفراغ المعرفي. هذه الفكرة هي إشكالية مقالنا الذي يسعى إلى تقديم هذا الجانب المغمور في النحو العربي القديم، وإعادة صياغته لسانيا من خلال مفهوم علمي أساسي تقوم عليه اللسانيات الحديثة، وهو مفهوم الحيز. فقد تغافلت النظريات اللسانية الغربية الحديثة عن الجهد العربي للنحاة القدامى، وتجاوزت مرحلته رغم ما فيه من أفكار سبق إليها هؤلاء النحاة، وكان بالإمكان استغلالها لفك العديد من الألغاز التي قامت عليها اللغة. ولعلّ أبرز أسباب هذا التغافل هو عدم إيصال هذه الأفكار بلغة حديثة تجعل النص القديم مستساغا وممكن القراءة، وهي لغة العلم والصياغة الرياضية المناسبة.

1- **فرضيّة الحيز**:

---

[1] أنجز هذا العمل في صيغته الأولى في إطار حلقة بحث بالجامعة التونسية سنة 1998 بإشراف الأستاذ الدكتور محمد صلاح الدين الشريف أستاذ اللسانيات بالجامعة التونسية. وقد كان الهدف منه ومن بقية الأعمال التي تناولت قضايا لسانية أخرى ذكرها ميلنار إبراز مجالات الاستفادة من المناهج الحديثة في قراءة النصوص اللسانية العربية القديمة بصياغتها صياغة معاصرة، ومواصلة الحدوس التي انبنى عليها، للمساهمة في إدراج هذه الأفكار في مسار العلم اللغوي الحديث.

[2] Milner(J.C) Introduction a une science du langage, Paris, Seuil 1989

[3] قسّم ميلنار كتابه إلى ثلاثة أقسام وهي:

- Première partie – La question de la science à propos du langage
- سؤال العلم بالنسبة إلى اللغة
- Deuxième partie – La construction de la science du langage
- بناء العلم للغة
- Troisième partie – L’objet langage
- اللغة الأداة

[4] يؤكد ميلنار في كتابه في الصفحات 464 وما بعدها أن ما بلغته اللسانيات من تطور يتعلق بحدوس قديمة جدا ودعا إلى العودة إليها والاستفادة منها. وقد اعتبر موقفه هذا ردا على اللسانيات البنيوية التي رفضت الأنحاء القديمة وشككت في قيمة مفاهيمها ومقولاتها.

[5] مدرسة كامبريدج المقصود بها هي النظرية اللسانية لشومسكي ومن سار على نهجه من تلاميذه

[6] تشير كلمة الحدس في الفلسفة إلى نوع من المعرفة التي لا تستخدم المنطق والاختصاص يمثل شكلا من أشكال المعرفة ليست من الضروري تفسيرها بكلمات، عادة ما تأتي بطريقة مفاجئة، والتي على أصلها تنقسم الآراء: آلية الحدس تأتى من عمليات السبب والنتيجة، في حين وفقا لطريقة الأفلاطونية المحدثة، الحدس كمنتج في العقل البشري لا يمكن تفسيره بعقلانية، يتعلق بمعرفة فائقة التي تكمن في نفس منطق السبب والنتيجة، أي معرفة فطرية ولا يتم الحصول عليها.

بالنسبة إلى أفلاطون وأرسطو، الحدس هو تصور فوري للمبادئ الأولى، وبالتالي تعبير عن معرفة أكيدة لأن الفكر فيها يصل مباشرة إلى محتوياته، بما أنه الجمع بين الموضوع والشيء. هذان المصطلحان، على الرغم من تناقضهما فهما مكملان لبعضها بعضا ومرتبطان ببعضهما.

طرح ميلنار هذه الفرضيّة بالمقارنة بين مفهومي الحاجز Barriere والحيّز Domaine [7]، باعتبارهما دالين على الحدّ الفاصل ومفيدين في مجالات لغويّة عديدة.

فالصوتيّات تعتمد هذا المفهوم للتمييز بين الوحدات، فيكون فيها حدّا معجميّا أو صوتيا أو مقطعيّا. وقد حدّده النحاة بكونه حدّا فاصلا بين مكونين، له وجود داخلي وخارجي.

وقد صاغ ميلنار Milner فرضيته بقوله "*إنّ الوحدات النحوية تتركّب في أحياز إعرابية "(مقدّمة لعلم اللّغة"* ميلنار،463/1989)، فلا يمكن الحديث عن عنصرين نحويين مجتمعيين إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار مسألة انتمائهما إلى نفس الحيّز. وقد أثار بذلك العلاقة القائمة بين مفهومي الحيز domaine والموقع position بعرضه لنظريات مختلفة منها ما يقوم على أساس العامل (القوة) ويرفض الموقع وهي النظرية الحركية dynamique التي اختصت بها مدرسة كيليولي Culioli [8]. ومنها ما يُجمع على أساس الموقع ومجاورَته. ومنها ما يجمع بينهما فيكون أساسه الموقع والعامل (القوّة).[9]

فالاختلاف بين هذه النظريات واضح في اختلاف مقولاتها، وهو متعلّق بإرث قديم لا يقدّم تصورا واضحا لمفهوم الحيّز. لذلك سعي ميلنار Milner إلى تدقيق معناه بضبط خصائصه الأساسيّة والإضافيّة.

2- الخصائص الأساسيّة للحيّز

ذكر ميلنار للحيّز domaine ستّ خصائص اعتبرها محدّدة له موضحة لمفهومه. وهي:

1.2. ثبات الحدود الفاصلة

تقتضي هذه الخاصية أن تبقى العلاقات الوظيفيّة بين العناصر قائمة داخل حدود معيّنة، فتبيّن أنّ مفهوم الحدّ الفاصل مفيد في تعليق العناصر بعضها ببعض؛ فلا يمكن أنْ نقيم علاقات بين مواقع لا تكون هي بذاتها في موقع واحد يجمعها.

فالنعوت، على سبيل المثال، لا تُحمل نحويّا ودلاليا إلّا على الاسم القريب منها كما يبيّنه المثال التالي:

1- الكتاب الجديد الموضوع على الطاولة الصغيرة ملكي.

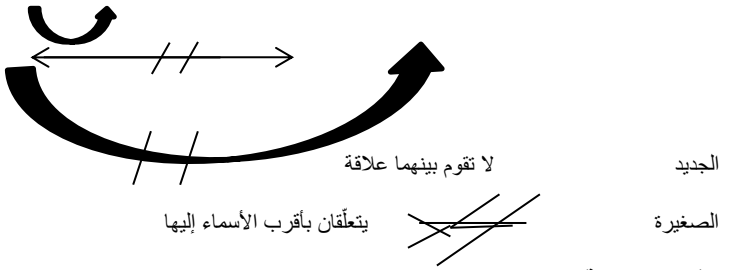

2.2 التذكرة المقوليّة تضبط حدود الحيّز

تضبط حدود الأحياز في حالة وجودها "بالتذاكر المقوليّة" Etiquette catégorielle (ميلنار،467/1989) إذ أنّ النحو يرتكز أساسا على المواقع والتذاكر المقوليّة. وإذا ما وجدت أحياز إعرابيّة فإنّ الكشف عنها يوكل إلى المواقع ذات التذاكر المقوليّة Etiquette catégorielle.

وبذلك يجوز للحيّز أن يتضمن موقعا واحدا، لكنّه في الواقع يحتوي على أكثر من عنصر معجمي. وبذلك يكون لكلّ عنصر موقعه الخاص داخل حدود الحيّز. ويكون الشكل العام للحيز كما يلي:

---

[7] يميز ميلنار في كتابه بين هذين المفهومين بما يلي: يقوم مفهوم الحاجز على وجود خط فاصل بين عنصرين دون أن يكون هناك داخل وخارج، وهو ما يختلف فيه مع مفهوم الحيز الذي يقتضي هذا الأمر إضافة إلى وجود الخط الفاصل. وهو ما يقوم عليه هذا البحث والذي سنعمل على توضيحه في مختلف أقسامه.

[8] Culioli (Antoine) 1924-2018, *Aspects, modalité, problèmes de catégorisation grammaticale*, édité par Antoine Culioli, Paris, Université Paris VII, 1986.

[9] انظر لمزيد التعمق في ذلك القسم الثالث من كتاب ميلنار "introduction a une science du langage"، القسم الثالث وبالتحديد ما يتعلق بنظرية المواقع صص 357-408.

[ج... [أ] ... [ب] ... [ج] ...]

ويكون الموقع position (ج) المحتوي لغيره من المواقع مساويا لوحدة مستقلة لقولنا:

2- جاء [الرجلُ الطويلُ الذي قابلته بالأمس]

فالحيّز فيها مساو لموقع واحد.

أمّا في مستوى أدنى من التحليل فتظهر عناصر أخرى داخل هذا الحيّز الذي يحدّد بما تعلّق به من تذاكر مقوليّة etiquettes catégorielles لقولنا:

3- رأيت [الطالب الذي نجح] فرحًا.

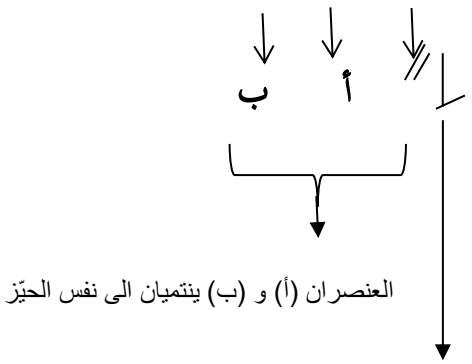

التذكرة المقولية لهذا الحيّز

3.2. الحيّز الهندسيّ

يحدّد ميلنار Milner الحيّز هندسيّا باعتماده على مفهوم الحدّ الهندسيّ الذي تتطلّبه فرضية المواقع. ويرى أنّ عنصرين لا يعتبران منتميين إلى نفس الحيز إلا إذا احتلا مواقع متقاربة. وقد أكد ميلنارMilner ذلك بقوله: "*العناصر التي تنتمي إلى نفس الحيز تحتل مواقع متقاربة*" (ميلنار،1989/469).

وإذا ما عرفنا أنّ قرب المواقع عند ميلنار Milner لا يعتمد على الخطيّة[10] (باعتبارها موجودة فقط في الصوتيات : التتابع...) اتضح لنا أساس ثان وقع اعتماده في تحديد انتماء العناصر إلى نفس الحيّز. وهذا الأساس هو علاقة التحكم. وبهذه العلاقة حدد الحيز بقوله : "العناصر التي تنتمي إلى نفس الحيز تتحكم فيها نفس النواة. والعناصر التي تخضع لتسلط نواة واحدة تنتمي حتما إلى نفس الحيّز" (ميلنار،1989/470).

4.2 العلاقة الإعرابيّة محدّدة للحيّز

لخّص ميلنار هذه الخاصية بقوله إنه "لا يدخل عنصر (أ) في علاقة مع العنصر (ب) إلا إذا كانا ينتميان إلى نفس الحيز" (ميلنار،1989/ 471). و ميز في هذه الخاصية بين علاقات تكونها النظرية انطلاقا من المواقع، وأخرى تثبتها عمليات نحوية خاصة. فيكون الحيّز في الأولى معطى، أما في الثانية فإنه ناتج عن عمليات مختلفة ويعرف بالحيز العاملي.

وقد اعتبر ميلنار Milner العلاقات الوظيفية هي أهم هذه العلاقات. وهي "*لا تتحدد إلا بين عناصر تنتمي إلى نفس الحيز*" (ميلنار،1989/ 471) واعتبر بالتالي أن الحيز المقولي هو حيز لعدد من العلاقات الوظيفية (س). لكن ذلك لا ينفي وجود علاقات أخرى تقوم بين عنصر معجمي وموقع أو عامل وحدّ ... ممّا يعني تعدّدا إمكانيا للأحياز.

5.2. الحيّز العاملي

يرى ميلنار أنّ "*كل حيز نحوي هو حيز لعدد من العلاقات ع*" (ميلنار،1989/ 472) والعلاقة (ع) تجمع بين العلاقات الوظيفية والعلاقة الناتجة عن نقل &.

---

[10] نجد توضيحا لهذه الفكرة في الكتاب نفسه في القسم الثاني ، الفصل الرابع أين بيّن ميلنار خضوع نظام المواقع إلى نظام خطي

ويرتبط مفهوم الحيز الإجرائي[11]. بمدى مقاومته لعوامل التحويلات النحوية. فقد حدّد ميلنار الحيز اعتمادا على هذه الخاصية فهو يرى أنه يصعب الفصل بين وحدتين تنتميان إلى نفس الحيز محافظا بذلك على اتساق عناصر الحيز الواحد.

ويعرف الحيز أيضا بمدى مقاومته لكل العمليات التي تتخلله فتقطعه، إذ أن ميلنار قد نظر إليه على أساس العلاقات الحاصلة داخله وخارجه. فإذا ما كانت العلاقة موجهة من الداخل إلى الخارج فإن الحيز يعرّف بمقاومته لخروج أحد العناصر الموجودة داخله، أو بتأثرها بعنصر يوجد في موضع خارجه.

ففي قولنا:

4- أعطى الولدُ الكتاب إلى صديقه.

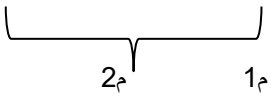

حيّز

نجد مفعولين (م1) و (م2)، فالأول منهما ملازم للفعل وداخل في حيّزه. أمّا الثاني فمنفصل عنه، والأول مفعول داخلي، أما الثاني فيعتبر مفعولا خارجيا.

أما في العلاقة المعاكسة (من الخارج إلى الداخل) فيعرّف الحيّز بمقاومته لدخول عناصر خارجة عن حدوده إليه، أو بتأثير بعضها في عناصر داخل حدوده".

وقد استعملت مدرسة كمبريدج تسمية خاصة لرمز الحيز إذ اعتبرته "جزيرة "ile [12] يصعب الدخول إليها.

وقد أدّى تحديد الحيز على أساس داخل وخارج إلى نتيجتين:

1.لا تتداخل أحياز المواقع (موقع الفاعل- موقع المفعول...)

2- لا تعمل التذاكر المقولّية المميّزة لموقع ما باعتبارها حدودا فاصلة فحسب، بل تكون كذلك علامات وحواجز. وهو ما يفضي إلى النتيجة التالية وهي أنّه " *يمكن لعنصر (أ) أن يدخل مع عنصر (ب) في علاقة بشرط ألا ينتميا إلى أحياز متباينة تباينا شديدا*". (ميلنار،1989/ 476)

فالحيز محدد لسبل ربط علاقات بين العناصر داخله أو خارجه، وهو ما يفيد الإعراب باعتباره محددا لهذه العلاقات.

6.2. تحوّل مفهوم الحيز آنيا وزمانيا

أبرز ميلنار أن تحول مفهوم الحاجز Barriere هو الذي يكسبه قيمة. ويعني بالتحول اختلاف الرؤى في ما يعتبر حاجزا نتيجة لعوامل زمانية وأخرى آنية. فالزمانية تتجلى مثلا في المقارنة بين لغة القرن 17 واللغة الحالية.

أما الآنية فتتضح في كيفية تقبل السامع لجمل من نوع:

5- من تعتقد أنك رأيت؟ Qui crois-tu que tu as vu?

6- من تعتقد رؤيته؟ Qui crois-tu avoir vu?

فهناك من يقبل هذا التعبير في المكتوب والمنطوق. وهناك من يرفضه أو لا يفهمه. ويرجع ذلك إلى اختلاف تصورهم لمفهوم الحيز.

3. الخصائص الإضافية للحيز اللغوي

---

[11] يشير ميلنار إلى نوعين من الأحياز هما حيّز معيّن وحيّز إجرائي ، ويتمّ التمييز بينهما على أساس نوعية العلاقات التي تقوم بين عناصر هذا الحيز. ففي الحيز المعيّن تبنى العلاقات المعطاة انطلاقا من المواضع، أما في الثاني فتنتج هذه العلاقات عن إجراءات إعرابية مخصوصة. (القسم الثاني، الفصل 4)

[12] هذا المصطلح استعملته مدرسة كامبريدج بشكل صريح في سياق الحديث عن هذا الفكرة. وقد استعاره ميلنار من روس Ross

ما تعرضنا إليه من خصائص الحيز يبدو مشتركا بين مختلف المفاهيم التي وضعت له، وهي لا تختلف إلا في طريقة توظيفها في اللغة. لكننا نجد للأحياز النحوية خصوصيات، هي خصوصيات اللغات الطبيعية غير الموجودة في مفهوم الحيّز. وهذه الخصائص هي:

1.3- محدودية الحيز النحوي:

تأتت هذه الخاصية من اعتبار الحيّز الإجرائي مجموعة متناهية من المواقع، والمواقع تذاكر مقولية. وعدد هذه التذاكر المقولية محدود، إذن فالحيز محدود.

ويضيف ميلنار Milner في ضبطه لخصائص الحيّز أنّه صغير الحجم لا يتجاوز في عدد عناصره الأربعة أو ما دونه، يجمّعها ويؤلّف بينها فتكون بذلك كلا لغويا.

وقد مثلت مسألة اللاتناهي في اللغة موضوع نقاشات عديدة. فالبنيوية لا تأخذ في اعتبارها إلا معطيات محدودة. أمّا مدرسة كمبريدج فقد خالفت ذلك، وأكدت على وجود مقاطع لا نهائية في اللغة. وإذا لم نجد في الاستعمال مقاطع مماثلة، فذلك راجع إلى عوامل خارجة عن حدود اللغة، كحدّ الذاكرة، وحد الانتباه... وليس من مهام النظرية النحوية أن تبرز ذلك.

فالسؤال المطروح إذن يتعلق بإمكانية قبول فكرة وجود أحياز لغوية يحتمل أن تكون لا نهائيّة. وهو ما يتأكّد في التصور التوليدي من خلال أمرين، هما:

-الحيز المحدد بأقواس ذات تذاكر يمكن أن يجمع عددا لا نهائيا من المواقع المحددة هندسيا.

-حيز القواعد كذلك يعتبر لا محدودا إذا جمعت هذه القاعدة الإعرابية له بين موقعين يتخللهما عدد من المواقع يمكن أن يكون لا نهائيا.

أما ميلنار Milner فقد بين أنّ التحليل اللساني يعالج كل حيز عاملي باعتباره لمجموعة محدودة من المواقع المتقاربة، رغم أن الانجاز قد يبرز عكس ذلك. وهو ما ينتج عنه الرأي التالي: إذا أثبتنا صحة فرضية الأحياز فقد أثبتنا كذلك أن المقاطع غير المحدودة موجودة فعلا لكن لا دور لها في النحو.

2.3 الحيّز النحوي ذو مسافات صغيرة

الحيز النحوي ليس فقط محدودا، بل هو حيز ذو مسافات صغيرة"، إذ لا يكاد يتضمن حسب ميلنار Milner أكثر من أربعة عناصر معجمية. وهذه الخاصية اللغوية تسمى التضييق.

3.3 الخاصية الحيزية:

وهي حسب ميلنار Milner خاصية تجمع بين العناصر المختلفة الموجودة في الحيز. فهي تجمع بين الاسم والصفة في مركب اسمي مثل.

- الكتاب الأخضر.

-الكتاب الذي استعرته منك.

وهي تتجاوز مجموع الخصائص المنفردة للعناصر. فالوحدة منفردة خاصية. وهذه الوحدة تدخل في موقع يكتسب بدوره خاصية. ومجموع المواقع الموجودة في حيز واحد تتجانس لوجود خاصية تكتسبها من الحيز نفسه وهي التي مثلت الإضافة الثالثة لخصائص الحيز.

4.3العنصر الحيزي

ترتبط هذه النقطة بما سبقها ذلك أن الخاصية الحيزية لمجموعة نحوية هي خاصية مقاومة للاختراق (تحافظ على وحدة الحيز)، وهي تفترض بالتالي وجود عنصر ثابت فيها يتحمل خاصية المقاومة. هذا العنصر هو الذي نعنيه بالعنصر الحيزي. ويسمى هذا العنصر بالرأس في النظرية النحوية.

والرأس هو الذي يكون له الدور الأساسي في المركب من حيث انتمائه المقولي. وله كذلك دور في توزيع الأدوار الدلالية. ففي أحياز التجاور يكون لهذا العنصر اسم ثان وهو النواة إذا ما حصل التطابق بين الرأس والعنصر الحيزي. وتكون الأشكال ا"، ص"، ح"، ف" أحيازا نووية ويشترط في هذه العناصر أن تكون حاضرة، وهو ما نمثّل له بما يلي:

أبو حفص عمر

ا"

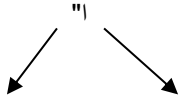

أ أ

نجد أسماء في اللغة تكون بمفردها مركبا اسميا هي الأعلام. ويفضي بنا ذلك إلى تقسيم الحيز النووي إلى أنواع:

* حيز يكون فيه العنصر الحيزي مطابقا للنواة (الصفة – الحرف ...)

*حيز نووي لا يتطابق فيه العنصر الحيزي مع النواة ضرورة :ا".

* حيز غير نووي لا نجد فيه إلا عنصرا حيزيا : (اسم العلم...)

والاختلاف بين النوعين الأول والثاني جليّ، إذ أن الصفة أو الحرف لا تكون حيزا، في حين يكون المسند إليه ا" حيزا وهو ما يكسب الحيز الجملي خصائص مميزة.

5.3. النووية والحيز

توضّح هذه النقطة ما يتعلق بمفهوم النووية Nucléarité في الحيز، بالتأكيد على أننا لا نجد إلا عنصرا واحدا محددا للمركب. وإن وجدنا أكثر من ذلك فإنهما لا يكونان في نفس الحيز.

ويحافظ التحليل التراتبي على هذه الخاصية.

ففي الحيز الواحد لا نجد نفس الوظيفة أو نفس الأدوار مكررة أبدا. بل أننا لا نجد فيه مرتين نفس الانتماء المقولي، أو نفس الشكل الصوتمي أو الإحالة المتحققة.

4. اختلاف الافتراضات المتعلقة بطبيعة الأحياز

نستدل على وجود الأحياز بآثارها الخارجية المتمثلة في منع قيام أية علاقة بين ما هو خارج عنها وما يكون داخلها. وبالإضافة إلى ذلك، نجد في مركز الحيز ما نسميه بالعنصر الحيزي. وهو العنصر الذي تسعى عناصر أخرى من هذه المجموعة إلى إقامة علاقة معه. فيظهر باعتباره المحرك للحيز والمحافظ على خاصية الصلابة والإنفاذ فيه.

فالحيزية إذا تتحقق بأمرين:

1. جانب الصلابة الموجود على حدوده الخارجية.

2. العنصر الحيزي الذي يمثل مركز ثقلها. وهو يمثل مركز جذب يشد إليه عناصر المحال، ومنه تصدر خاصية المقاومة للنفاذ والقطيعة. ويفضي بنا هذا الأمر إلى أن نعتبر الظواهر الحيزيّة محدّدة بنوعين:

1. ظواهر الغشاء (مستعار من مجال الخلية).

2. ظواهر الجذب المركزي (مستعار من مجال الذرة).

نصل بهذا إلى سؤال هام يتعلق بتحديد طبيعة الظواهر الحيزية في اللغة، لكننا لن ندعي الإجابة عن ذلك لصعوبته إذ أن الفوارق تكاد لا تلاحظ بين آثار الحيز الغشائية وآثاره المركزية. وقد كانت النظرية النحوية مترددة في هذه النقطة ولا تزال، فمبدأ مركز الجذب في الحيّز تبدو وكأنها قد نقلت إلى هذا العصر، أما مبدأ الغشائية فقد حصل حديثا على التأييد. والأمر هنا متعلق بقطاع بحث هام لم تدخل فيه المعطيات الجديدة حيز التطبيق حاليا.

5. فرضية الأحياز في النحو العربي القديم:

بين ميلنار أن وجود اللسانيات مرتهن بوجود النحو زمانيا (من حيث تتابعه التاريخي)، أو نظريا (من حيث مساره النظري التأسيسي)[13]. وهو بذلك يردّ على الذين وصفوا هذه المحاولات بالتقليد والتحجّر، وخاصة في نقدهم لمدرسة كامبريدج.

---

[13] بيّن ميلنار في مقال له بعنوان " النحو" في الموسوعة العالمية J.C.Milner,1990,article Grammaire,Encyclopedie edition du Seuil Universalis, ان ظهور اللسانيات لم يمثل نهاية النشاط النحوي. ففي بدايات ظهور اللسانيات قطع البنيويون مع هذا التوجه في النشاط اللغوي الذي "لم يبق له إلا أن يضمحلّ" لأن اللسانيات في نظرهم هي الخطاب الوحيد الذي يعتبر علما. وقد أعادت التوليدية الاعتبار إلى النحو واعتبرته

وقد اعتمد ميلنار Milner في كتابه على أهمّ ثوابت المدرسة التوليدية، أو الجزء الذي يمكن أن يحفظه تاريخ هذا العلم الذي تعرض في نظره إلى أزمة. و العلوم نستفيد من أزماتها فتخرجها على شاكلة جديدة، كما كان شأن البنيوية التي طورت آراء دي سوسير De Saussure، والمدرسة التوليدية التي جمعت خلاصة كل المدارس اللغوية والأنحاء القديمة وأخرجتها في شكل علمي جديد.

ثم جاء كتاب ميلنار Milner الذي تأسّس على سابق جيد جامع بين النحو واللسانيات. وفيه نجد اعتمادا واضحا على الأنحاء التقليدية الفرنسية والانكليزية، واستفادة من آثارها المتوارثة. غير أنه في حرصه على تدارك ما تركه التوليديون، ترك هو بدوره جانبا مهمّا من هذه الأنحاء هو الذي يمثّله النحو العربي. ففيه نجد أشياء هي جزء من المحصول الثقافي كلّه.

وقد مثّل هذا الجانب ثغرة في خلاصة ميلنار Milner التي تسعى إلى الشمولية، خاصة وأنه يقرّ بأن ما بلغته اللسانيات من تطور "يتعلق بحدوس قديمة جدا (...) آن الوقت لعرض محتواها بشكل أوضح" (ميلنار،1989/ 464).

ولما كانت اللسانيات العربية التقليدية جزءا من تاريخ اللسانيات العامة، فإننا نسعى إلى الكشف عن هذه الحدوس المتعلقة بفرضية الأحياز فيها، ونحن واعون أنّ عيب موروثنا الفكري يتجلى في عدم اندراجه في مجال مشروع وصفي كوني شامل، لا في ضعف طاقته الوصفية التفسيرية. فهو بحاجة إلى صياغة أفكاره بما تقتضيه العلوم المعاصرة

1.5 العامل[14] النحوي وأثره في ضبط حدود مكونات الجملة:

مثل العامل Operateur في النحو العربي القديم أهم ما يوضّح الحدود الفاصلة بين الوحدات اللغوية، إذ أنه يقوم بدور رئيسي في معرفة مفاصل الجمل أو "النص".

ففي حدود الجملة الواحدة التي تمثل حيزا مغلقا، تُبرز علامات الإعراب العلاقات الرابطة بين مكوناتها، بل إنّ تعذُّر ظهورها لا يعيق هذه العملية التي تتجاوز مبدأ الخطية[15]Linearité .

ففي قولنا:

7- جاء الفتى.

لم يظهر أثر العامل لكن ذلك لا ينفي وجود عمل فيها. وهو ما تم التعبير عنه بالإعراب المحلي.

أما في علاقات الجملة بغيرها ،فقد مثل العامل أهم العناصر الموضّحة لحدودها. فهو يمثل مقياسا شكليا مجردا يعتمد عليه في ضبط حدود الجملة. فالعامل هو بداية كل عمل نحوي ويمثّل آخر معمول متعلق به نهايته. والحدّ الفاصل بين الجمل هو النقطة التي تقع بين كلمة من النوع الأول، وأخرى من النوع الثاني.

وقد عبّر النحاة عن هذه الضوابط باعتبارهم الجملة كلاما منقطعا مستقلا استقلالا صناعيا، فقولنا:

8- ظننت زيدا قائما.

جملة تبدأ بالعامل ظن وتشمل محل الرفع الناتج عن عمل الفعل في الفاعل، وعملهما في المفعولين باعتبارهما جزءا منها. فاستقلال الجملة مفهوم موضّح لحدودها ومشير لوجود حواجز لا يمكنها أن تتجاوزها.

مرحلة أساسية في نشأة هذا العلم وبيّنت أن من أخطاء البنيوية القطع تماما مع الإجراءات النحوية لتحقيق السمة العلمية المنشودة، وأكدت أن من مهام اللسانيات الحديثة تحديد خصائص الألسنة الطبيعية التي نفسّر النجاحات العملية الهائلة للنشاط النحوي.

[14] توضح هذه النقطة أمرين نسعى إلى إبرازهما وهما:
- الرد على محاولات تيسير النحو بإلغاء نظرية العامل العربية، واعتبارها من مشكلات النحو العربي، بل من أخطاء النحاة العرب وتعليل هذا الموقف بعدم مطابقة نظام العوامل لمعطيات اللسان العربيوقد اتفق على ذلك جمع من الباحثين اعتبروا تخليص النحو العربي من نظام العوامل هو تخليص له من منهج غير لغوي اظر في ذلك ابراهيم مصطفى في كتاب "إحياء النحو" ومهدي المخزومي في "النحو العربي نقد وتوجيه" وقبلهما ابن مضاء القرطبي
- هذه الفكرة القيّمة التي أهملها بعض النحاة العرب المحدثون ستكون ركيزة أقوى النظريات اللسانية في العصر الحديث وهي النحو التوليدي في منواله القائم على التحكم والربط وهو – كما سيبينه هذا البحث – أساس العلمية في البحث اللساني الحديث

[15] يمكن توضيح هذه النقطة من خلال ما قاله النحاة في التقديم والتأخير. فقد قام النحو العربي على بنية خطية أصلية ترتب فيها الوحدات وفق بنية (ف(فعل)، فا (فاعل)، مف (مفعول)) تثبيتا لمبدأ الأصل العاملي في النحو العربي، لكن الواقع اللغوي لا يوافق دائما هذه البنية التي تكون أحيانا (مف ف فا) أو غيرها. فتغيّر ترتيب وحدات الجملة لا يغيّر حدود الأحياز فيها غالبا، وهو ما يدرك بضبط العلاقات العاملية الرابطة بين وحدات الجملة.

وقد اتضح هذا التصوّر منذ سيبويه الذي أشار في الكتاب في سياق حديثه عن محدّدات الكلام، إلى كلام "يحسن السكوت عليه"، وآخر "عمل بعضه في بعض"، بحيث لا يحتاج إلى عامل ولا يبقى منه ما يحتاج إلى معمول، وهو ما يفسّر بانغلاق العلاقات النحوية. وهي عبارات محدّدة لمفهوم الحيز الذي يجمع بين خاصيتين هما:

- الحدّ الفاصل.

- دلالته على داخل وخارج.

وقد أكّد مفهوم الإبطال بنوعيه: التعليق والإلغاء[16] هذا التصور باعتباره يحدد العناصر الداخلة في حيزها بواسطة تعلقها بالعامل, والعناصر الخارجة عنها لانعدام هذه الصلة فيها.

وقد أفضى هذا التصوّر إلى الحديث عن جمل لا محلّ لها من الإعراب، وبالتالي عن جمل ابتدائية واستئنافية واعتراضية يتوفر فيها شرط الانقطاع الصناعي، فتكون "كلاما تاما" (المغني I/375)

مفيدا بالقصد، إذ القصد دال على معنى الانغلاق فيه. وهو مفهوم فرق به ابن هشام [17] بين الجملة المستقلة (المسماة كلاما عنده) والجملة غير المستقلة أو المدمجة (على حد عبارة ابن يعيش) لدخولها في بنية أكبر منها هي الجملة (الكلام).

فهي جمل احتلت موقعا إعرابيا واكتسبت خصائص هندسية فهي "مرتبطة بعاملها وليست مستقلة برأسها" (المغني II/376) مما يبين اختصاصها بداخل وخارج يحدد علاقتها بالحيز الأكبر الذي يضمها, وبالحيز الأصغر الذي تمثله هي .ففي الجملة التالية:

9- وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ (البقرة، 281)

س: ترجعون فيه إلى الله. تحتل موقعها في (ج)

⟵ داخلة في حيز أكبر منها

لكن س: حيز له علاقات داخلية

فيه مواقع ترتبط بعلاقات وظيفية في ما بينها

فالحيز (س) خاضع لخاصيتي الموقع، باعتباره يحتل موقعا محددا في الجملة، والعلاقات الإعرابية التي تحدد انتماءه لحيز واحد مع العناصر المرتبطة به.

وفي العلاقات الرابطة بين "يوما" و"ترجعون فيه إلى الله" إبراز للعلاقة الوظيفية الرابطة بينهما، ولعلاقات الجوار التي تحدد انتماء هذه العناصر إلى نفس الحيز. فهي خاضعة إلى مبدأ القيد النحوي المحدود بالتوابع[18] والمفاعيل إذ يصبح القيد متحكما في المقيد، إذ تتحكم ("ترجعون") في ("يوما").".

---

[16] الإلغاء : إبطال عمل الفعل القلبي الناصب للمبتدأ والخبر لا لمانع فيعودان مرفوعين على الابتداء والخبرية نحو : (خالدٌ كريمٌ ظننتُ) فـ (خالد و كريم) مبتدأ وخبر ،و الفعل ظنّ ملغى بسبب تأخره عن الاسمين. والتأخر علامة من علامات ضعف الفعل الذي حقه أن يعمل فيما بعده في الأصل.

التعليق: إبطال عمل الفعل القلبي لفظا لا محلا لمانع. وهو واجب إذا وجد المانع ،فتكون الجملة بعده في موضع نصب على أنها قائمة مقام المفعولين نحو: (علمتُ للعلمُ نورٌ) فالفعل علم معلق عن العمل في مفعوليه بسبب لام الابتداء. والتعليق في اللفظ لا في المعنى ، لأنك لو عطفت على هذه الجملة مثلا لجاز أن تعطف على محل مفعولي الفعل بالنصب فتقول : علمتُ للعلمُ نورُ والإيمانَ كذلك

[17] انظر في ذلك كتاب المغني II/374

[18] لم يرد المصطلح المذكور عند سيبويه (180هـ) بلفظه، ولكنه حدد المفهوم بما يلي: "هذا باب مجرى النعت على المنعوت، والشريك على الشريك، والبدل على المبدل منه، وما أشبه ذلك" (الكتاب، 421/1)
وابن السراج (316هـ) هو أول من استعمل لفظ التابع في قوله: " باب توابع الأسماء في إعرابها" (الموجز في النحو،61)
يقول ابن السرَّاج في تعريف التابع: "فجميع هذه تجري على الثاني ما جرى على الأول من الرَّفع والنصب، والجر(الموجز في النحو،61)
ويعرفه ابن يعيش بقوله: "هي الثواني المساوية للأول في الإعراب، ومشاركتها له في العوامل(شرح المفصل،38/3)

والتلازم بين عناصر الحيز الواحد واضح كذلك في الإضافة، إذ أن المضاف إليه ينزل فيها منزلة النون من الاسم[19]كما اتضح ذلك في الكتاب وفي شرح المفصل[20]:

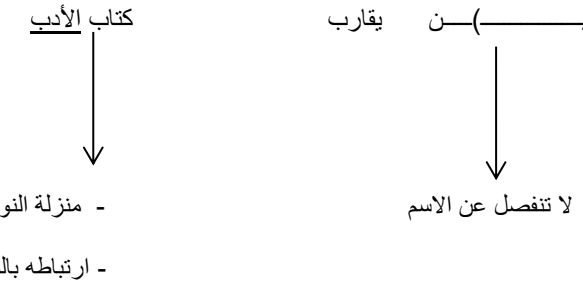

وهو يقاوم كل عنصر خارجي يمكن أن يقطعه، ويمنع خروج أحد عناصره عن هذه الحدود. ونجد ذلك أيضا في اعتبار الصلة تمام الاسم، أو هي "حشو" (عند سيبويه) بالنسبة إلى موصولها للتأكيد على التلازم بينهما ووجودهما في حيز واحد.

غير أن تلازم الاسمين في الحيز الواحد، لا يطمس ما لكل واحد منهما من خصوصيات ذاتية. ففي البدل، نلاحظ اختلاف المبدل منه والبدل لفظيا رغم اتفاقهما المعنوي:

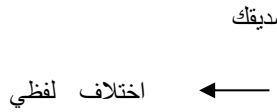

ويكون الاختلاف تاما في بدل الجزء:

أما في التوكيد اللفظي فإن تكرار الاسم الواحد لا يعني الاتفاق الكلي بين الاسمين، فهما يختلفان في الوظيفة، فالأول مؤكد والثاني توكيد.

2.5. الحيّز وأثره في الأبنية المحذوفة:

يتأكد هذا المبدأ الكلي المحدّد للعناصر الموجودة في حيّز واحد بما نجده في تحليل بعض النحاة لتراكيب التحذير والإغراء، وما وضع لها من تقدير يبرز بوضوح هذا الوعي بمفهوم " الحيّز". ففي تراكيب التحذير والإغراء، في مثل قولنا:

10- النارَ النارَ.

11- العدلَ العدلَ.

يقدّر فعل عامل يبرّر حالة النصب فيهما، بمقتضى مبدأ عام في النحو العربي القديم يعتبر أن هاتين البنيتين لا تكونان إلا بالفعل، مظهرا أو مضمرا. وتدرج هذه البنية ضمن الأبنية المشكلة التي حصل فيها عدول عن البنية الأصل. وهو عدول يقتضي تبرير الحالة الإعرابية الظاهرة وردّها إلى أصل يستجيب للبنية المألوفة.

يذهب أغلب النحاة إلى اعتبارهما جملتين، لانتماء العنصرين الظاهرين إلى نفس المقولة، رغم أنهما تختلفان في الوظيفة والدور.[21]

---

[19] انظر في ذلك الكتاب ج4/ 125، هذا باب الإضافة إلى المضاف من الأسماء.

[20] انظر في ذلك شرح المفصل ج2/ 105، فصل أحكام اسمها إذا كان بعده لام الإضافة

[21] انظر في ذلك سيبويه ، الكتاب، ج 253/1. ابن يعيش، شرح المفصل، ج25/2 وما بعدها. الأستراباذي، شرح الكافية، ج482/1 وما يليها.
وقد بيّن محمد الشاوش في كتابه "أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص. ص 871 أن الاعتماد على الصيغة اللغوية للأبنية المختزلة ترجع مجموعة كبيرة من المعاني إلى صنف واحد. في حين ان الاعتماد على المعنى الحاصل بالمقام يبين أن المعاني تتكاثر إلى حد قد يصعب التحكم فيها

وتخضع أغلب حالات التفسير للمقدّر في جمل التحذير والإغراء إلى مبدأي الإضمار والتكرار، إضمار للفعل العامل إعرابيا في الاسم الظاهر بعده، وتكرار الاسم المنصوب استجابة لمقتضيات المقام التحذيرية.

إنّ هذه التقديرات تدخل ضمن سلوك لغوي حقيقي يبني منوالا لجوانب مُشكلة في الاستعمال اللغوي. وهو منوال يمهّد "نظريا" لما سيبني عليه بعد ذلك اللسانيون نظرياتهم العلمية الدقيقة.

خاتمة:

إن المراوحة في الحديث عن الحيز بين اللسانيات الحديثة (بما تمثله من مدارس توارثت المبادئ الرئيسية) والنحو العربي القديم لا يدخل في نطاق المفاضلة، إذ الهدف منه هو إبراز دور هذا التراث العربي "المتغافَل عنه" في تطوّر اللغة بما فيه من مبادئ و"حدوس" أقرّ ميلنار نفسه بأهميتها في بناء حركات الدرس اللغوي المستقبلي. فهو يقولإذ يرى أنّ فهم تاريخ العلم اللغوي وتقديره التقدير الصحيح سوف يمكّنان المؤرخ من فهم حركات المستقبل.

والنحو في نظره هو الإرث التاريخي للسانيات الحديثة. وهي لا تستغني عنه في بناء مشروعها العلمي. وقد مثّل النحو العربي على وجه الخصوص الجانب الاختباري الذي يقره العلم، إذ أنه قام على "ما يتكلم به"وما تكلّمت به العرب" و"لغة تميم"... على خلاف النحو الإغريقي القديم المعتمد على لغة مكتوبة. واللسانيات التي تطمح إلى أن تكون علما اختباريا لا بد أن تكون قائمة على ما يدرك من اللغة المنطوقة مما التقط من أفواه الناس.

وقد تضمن النحو العربي المبادئ الكبرى التي تقوم عليها فرضية الحيز وأهمها "اعتبار الجملة أكبر وحدة لغوية. فهي بالتالي حيز له علاقات داخلية وأخرى خارجية. وتضم هي بدورها مكونات يمكن أن تكبر وتصل إلى حد الحيز. وهو الذي يلخص عموما في مفهوم الجمل ذات المحل الإعرابي.

وتبقى مسألة قابلية هذه المحلات للتقسيم إلى مالا نهاية له من العناصر، أمرا نظريا. فقد قيّد بشروط سبقت فكرة محدودية الحيز التي كانت محلّ اختلاف.

وقد كانت نظرية العامل أبرز الأفكار التي وضحت طبيعة العلاقات الرابطة بين عناصر الحيز بتعليق بعضها ببعض وتحكم العامل في المعمول... إلا أن هذه المبادئ الكبرى في النحو العربي لم تتسم بالوضوح الذي نلاحظه فيها اليوم، أو في النظريات اللسانيات الحديثة.

هذه المبادئ موجودة في "منطق المفاهيم لا في منطوقها". واعتبارنا لها تقليدية قديمة، يرتبط بتطوّر التفكير اللغوي لا بمضمونه المعرفي الذي لم يتأهّل بما يناسب مقتضيات العلوم في صياغة الأفكار التي يقوم عليها. فهذه " النظريات" لم تكن تتحدث عن نفسها كغيرها من النظريات الأخرى، وإنما كانت تعالج واقعا لغويا متنوعا، وتسعى إلى ردّه إلى وحدة تفسيرية، تجد صداها في حركة تأريخ العلوم التي بدأت تقريبا في أول القرن التاسع عشر.

هذه الكليات اللغوية والخصائص المشتركة بين المرحلتين اللغويتين تظهر في هذا البحث في مفهوم الحيّز وما يرتبط به من مفاهيم أساسية كالوظيفة النحوية والعمل اللغوي. وهي تتحقق رياضيا حسب منهج ميلنار في قواعد مختلفة عُدت ترجمة صورية لأفكار نحوية عربية قديمة كان للنحو العربي فيها نصيب.

إنّ الإشارة إلى هذه الكليات اللغوية والخصائص المشتركة بين مرحلتين من مراحل البحث اللساني تمكّن الباحث العربي من وصف لغته وصفا ذاتيا يستند إلى منطلقاتها المعرفية الواضحة في النحو العربي. ميساهم كذلك في إقامة جسر عبور معرفي تنقل فيه جواهر النصوص العربية اللغوية المؤسسة إلى ألسنة بشرية مختلفة، فتفتح بذلك آفاقا واسعة للتعامل المشترك بين اللغات.

مسرد للمصطلحات الواردة في المقال

انجليزي	فرنسي	عربي
Domain	Domaine	الحيّز
Position	Position	الموقع
Operator	Opérateur	العامل
Nuclearity	Nucléarité	النووية
Operator	Operateur	الحيّز العاملي
	Domaine architectoral	الحيّز الهندسي
heat	Tete	الرأس
Category label	Etiquette catégorielle	التذكرة المقولية
Linearity	Linéarité	الخطية
barrier	Barriére	الحاجز

المصادر والمراجع

- **العربيّة**

1) الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، (1975)، *شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب*، جامعة قار يونس – ليبيا
2) ابن هشام، محمّد عبد الله، (د.ت)، *مغني اللبيب*، تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار أحياء التراث العربي ج11.
3) ابن يعيش، موفق الدين، (1988)*شرح المفصل*، ط1، بيروت، عالم الكتب
4) سيبويه، أبو بشر عمرو، (1988)، *الكتاب*، ط3، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.- الشاوش، محمد، (2001)، "*أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: تأسيس نحو النص*، ط1، تونس، سلسلة اللسانيات مج 14، منشورات كلية الآداب منوبة.
5) الشريف، محمد صلاح الدين، (2003)، *الشرط والانشاء النحوي للكون*: بحث في الأسس البسيطة المولّدة للأبنية والدلالات، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب سلسلة اللسانيات مجلد 16، تونس.
6) ـــ (1982)، *خواطر شك نظرية في كفاية القراءة اللغوية*، أعمال كلية الآداب منوبة، *ندوة* القراءة والكتابة، منوبة، تونس.
7) ـــ (1998) أعمال حلقة البحث المخصصة
8) للنظر في *قضايا منهجية في اللسانيات من خلال كتاب جون كلود ميلنار*، مقدمة لعلم اللغة، إشراف مجمد صلاح الدين الشريف، منوبة. تونس. فاسي الفهري، عبد القادر، (1985)، *اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية* ط 2، الدار البيضاء، :دار توبقال للنشر، بيروت: عويدات، بغداد: آفاق عربية.
9) المجدوب، عزالدين، و الميغري، منصور (2017)، *نظرية التعلق في الوصف اللغوي*، آلان بوليفير و إيغور ألكسندر ملتشوك، جامعة القصيم، انشر العلمي والترجمة، بريدة.
10) المكي، سمية، (2013)، *الكفاية التفسيرية للنحو العربي والنحو التوليدي*، ط1، لبنان، دار الكتاب الجديد والمدار الاسلامي.
11) الموسى، نهاد، (1980)، *نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث*. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

- **الفرنسيّة**

1- Dubois (J) et autres, Dictionnaire de linguistique, Larousse, PARIS

2- Milner (J.C), 1989, Introduction a une science du langage, Paris, Seuil